﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير: 22 - 26]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتكاس عن وصف الصاحب الصادق الأمين بضدِّهما بلادة وضلال

لما وُصِفَ السفير الملكيُّ - وهو جبريل عليه السلام - بهذه الصفات الخمس التي أزالتْ عن القرآن كلَّ لبْس، وكان وصفُه بها إنما هو لأجْل إثبات شرَف الرسول البَشَريِّ الذي هو بَيْنَ الحَقِّ وعامَّةِ الخلْق، وهو النبي ﷺ بأنّ ما يقوله كلامُ الله تعالى حقًّا، وكانوا يَصفونه بما هو في غاية النزاهة عنه، وهم يعلمون ذلك؛ أبطَلَه مبكِّتًا لهم بالكَذِب، وموبِّخًا بالبلادَة بقوله زيادةً في شرفِه؛ إذ كان هو المدافِعَ عنه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[1].

ولمّا ذَكَر فضلَ الرسول المَلَكيِّ الذي جاء بالقرآن؛ ذَكَر فضل الرسول البشري الذي نَزَل عليه القرآن، ودعا إليه الناسَ، فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾، وهو محمد ﷺ، ﴿بِمَجْنُونٍ﴾، كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَاحِبُكُم﴾: الأصل في الصُّحْبة هو الملازمة - حسب ما يؤخذ من الاستعمالات المادّية - ثم قد تُستعمل في مجرَّد الاقتران، ومادّة (صحب) في اللغة أصلٌ يدل على مقارَنة شيءٍ ومقارَبته، مِن ذلك (الصاحب)، والجمع: الصَّحْب[3] والأصحاب، كما يدل على

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 290.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 913.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صحب).

الاتِّباع والملازمة، والمعاشرة[1]، والمقصود بـ ﴿صَاحِبُكُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾: الرسول ﷺ؛ لطول صحبتهم إياه، ومعرفتهم خُلق الصدق والأمانة فيه.

2) ﴿بِمَجْنُونٍ﴾: جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنًّا: ستَرَه، وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك، وجَنَّه الليلُ يَجُنُّه وأجنه: ستره، والجَنان، بالفتح: القلب لاستتاره في الصدر، وقيل: لِوَعْيِه الأشياءَ، وجمْعِه لها، وقيل: الجَنان روع القلب، وذلك أذهبُ في الخفاء، والجِنّيُّ: منسوب إلى الجِنِّ أو الجِنَّة، والجِنَّة: الجِنُّ، ومنه قوله تعالى: من الجنة والناس اجمعين [هود: 119][2].

والجُنون: حائلٌ بين النَّفْس والعقل، وجُنَّ فلان؛ قيل: أصابَه الجِنُّ، وبني فِعلُه كَبِناء الأدواء، نحو: زكم، ولقي، وحمّ، وقيل: أصيب جَنانه، وقيل: حيل بين نفْسه وعقله، فجُنّ عقلُه بذلك[3]، فالمقصود بنفي الجنون عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ نفيُ تخليط عقله ونفي عدم اتزانه.

3) ﴿بِٱلْأُفُقِ﴾: الأُفُق تَجَوُّفٌ داخليٌّ عُلْوي محاطٌ كأُفُق البيت والسماء، والجلدُ الخالي من البَدَن كالكيس أو الغلاف الفارغ، ومن ذلك: آفاقُ الأرض، أي: نواحيها؛ إذ يبدو ذلك فراغًا أو تَجوُّفًا عظيمًا حُدودُه السماء والأرض، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53] في الآفاق: وعيد للكفار بما يَفتحه الله تعالى على رسوله ﷺ، من الأقطار في آفاق الدنيا مَشْرِقِها ومَغربها، أو آفاق السماء: الآيات في الشمس والقمر والرياح وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ [النجم: 7]، أفق الشمس: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: رأى النبيُّ ﷺ جبريل بين السماء والأرض في صورته له ستمئة جناح، ووُصف الأفق بالمُبين؛ لأنه روي أنه كان في المشرق مِن حيث تطلع الشمس[4].

4) ﴿بِضَنِينٍ﴾: الضَّنّ: لزوم الشيء حيِّزَه، أي: بقاؤه داخلَه لا يَبرحه، كالقوم حيزَهم وكلزوم المنزل، ومنه: ضَنِنْتُ بالشي، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، أي: ببَخيل، والمقصود بالغيب كلُّ ما يُطْلعه الله تعالى عليه من مغَيَّبات السماء والدنيا والآخرة، فهو

(1) الصاعدي، سعود بن عيد، الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة: 1/ 56.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جنن).
(3) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (جنن).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أفق).

ﷺ يُبَلِّغ أُمَّته بما شاء الله تعالى مِن ذلك، ولا يحجبه عنهم، وقد ذكر في تفسير ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ هنا: الوحي والقرآن، وهذا يناسب قراءة الكلمة بالظاء، أي: بمُتَّهَمٍ[1].

5) ﴿رَّجِيمٍ﴾: (رجم) أصلٌ واحد يَرجع إلى وجْهٍ واحد، وهي الرَّمْيُ بالحجارة، ثم يُستَعار ذلك، من ذلك الرِّجام وهي الحجارة، يقال: رُجِم فلانٌ؛ إذا ضُرِب بالحجارة، وقال أبو عبيدة وغيره: الرِّجام: حجَرٌ يُشَدُّ في طرف الحبل، ثم يُدَلَّى في البئر، فتُخَضْخَضُ به الحمأة حتى تثور، ثم يُستقى ذلك الماء، فتستنقى البئر، والرُّجْمَةُ: القبر، ويقال: هي الحجارة التي تجمع على القبر؛ ليسنّم، وفي الحديث: «لا ترجموا قبري»، أي: لا تجعلوا عليه الحجارة، دعوه مستويًا.

والذي يستعار من هذا قولهم: رجمت فلانًا بالكلام؛ إذا شتمته، وذكر في تفسير ما حكاه ﷻ في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: 46]، أي: لأشتمنك، وكأنه إذا شتمه؛ فقد رجمه بالكلام، أي: ضربه به، كما يُرْجَم الإنسان بالحجارة، وقال قوم: لأرجمنك: لأقتلنك، والمعنى قريب من الأول[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

النبيُّ ﷺ صادقٌ أمينٌ، حريصٌ على العالمين

وأقسم الله تعالى على أنّ محمَّدًا رسولَ الله ﷺ - الذي صحِبتموه يا أهل مكة طوال حياته - كاملُ العقل، سديدُ الفِكر، ليس به شيء من الجنون، وأقسم على أنه ﷺ قد رأى أمين الوحي جبريل عليه السلام بين السماء والأرض من جهة المشرق في الأُفق الكاشف رؤيةً لا يُداخِلها غَبَشٌ، فأخذ عنه القرآن الكريم أخذًا مبنيًّا على السلامة والوضوح.

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ضنن).
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (رجم).

وأن محمَّدًا ﷺ ما هو بكاتمٍ عنكم يا أهل مكة شيئًا مما كُلِّف بتبليغكم إياه من القرآن الكريم والدين الحنيف، ولا هو ببخيل بشيء ممّا غاب عنكم يعلم فيه خيرًا لكم، و"أنه ﷺ ليس بمتَّهَم على الغيب، بل هو صادق في كل ما أخبر به عن الله تعالى"[1].

وأقسم أنّ ما بلَّغكم إياه محمدٌ ﷺ من القرآن الكريم ومن تفاصيل الدين الحنيف إنَّما هو مِن عند الله تعالى، ليس قولًا مِن إيحاء شيطان مطرود رجيم استرق السمع، فالشياطين بمعزل عنه ﷺ وعن كلام رب العالمين، فلا يقربونه.

فإذا كان الأمر كذلك، وكنتُم تُعادونه ﷺ، وتُناوِئون الدين الحنيف، وتحاربون القرآن الكريم؛ فإنكم آخذون في طريق الضلال، مندفعون في مجاهل الضياع، فإلى أين تتوجّهون مدابرين السبيل القويم؟ و"أي مسلك تسلكون، وقد قامت عليكم الحجة بوضوح آياته، وسطوع براهينه، وأحاط بكم الحق من كل جوانبكم"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو):

(الواو) في جملة: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ عاطفة على جواب القسم، أي: إنَّ تنزيهه ﷺ من الجنون مما أقسم الله تعالى على صِدْقه[3]، فليس النبيُّ ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾، "كما تتهمونه به من غير استحياء من الكذب الظاهر مع ظهور التناقض فعل ألأم اللئام، بل جاء بالحق وصدق المرسلين، فما القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط في العقل بل قول أعقل العقلاء وأكمل الكملاء"[4].

ما رَمَـوْه ﷺ بسببه بالجنون هو آيـة صدقه وكمال عقله

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1809.
(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1809.
(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 608.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 291.

معنى (ما):

(ما) في جملة: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ نافية، تعمل عمل ليس و﴿صَاحِبُكُم﴾ اسمها، و﴿بِمَجْنُونٍ﴾ مجرور لفظًا منصوب محلًّا خبر (ما)[1]، "فبعد أن أثنى الله على القرآن بأنه قول رسول مرسل من الله، وكان قد تضمَّن ذلك ثناء على النبي ﷺ بأنَّه صادق فيما بلغه عن الله تعالى؛ أعقبه بإبطال بهتان المشركين فيما اختلقوه عن النبي ﷺ من قولهم: معلم مجنون [الدخان: 14]، وقولهم: أفترى على الله كذبًا أم به جنة [سبأ: 8]"[2].

مَن يرمي أتمَّ الخَلْق عَقلًا، وأكملَهم وأصفاهم ذهنًا؛ أحقُّ بالحُمق والجنون

لطيفة العدول عن ذكر الاسم العَلَم إلى ﴿صَاحِبُكُم﴾:

عدَل النظمُ الكريم عن ذكر الاسم العَلَم (محمد) إلى وصف الصاحب في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾؛ لتحقيق المذمّة في حقهم؛ إذ حقيقة الصحبة تقتضي الملازمةَ في أحوال التجمُّع والانفراد للمؤانسة والموافقة، فالعدول عن اسم النبي العَلَم إلى ﴿صَاحِبُكُم﴾ يُؤذن بكونهم على عِلم بأحواله[3]، والإشعار بأنهم عالمون بأمره، وأنه ليس مما يرمونه به من الجنون وغيره في شيء، وأنهم افتروا عليه ذلك عن عِلْم منهم بأنه أعقلُ الناس وأكملهم[4].

محاسنه ﷺ ومناقبه لا يَضبطها القلم، ولا يحيط بها الكلام

وأيضًا فإنَّ في التعبير بـ ﴿صَاحِبُكُم﴾ إشارةً إلى أنهم يعرفون كذبهم؛ إذ أُشير إلى أنه ﷺ نشأ بين أظهرهم، ومكث فيما بينهم أربعين سنة، وكان معروفًا بالصدق والأمانة بينهم وكمال الرشد والعقل عندهم، وبَعد النُّبوّة – لِفرط حَسَدهم – تقوَّلوا ذلك مع العلم بأنهم كاذبون في ذلك، وفي التعبير بالصاحب إفادة أنكم عارفون محاسنه ومناقبه بحيث لا يَضبطه القلم، ولا يحيط به الكلام، لكن

(1) الدعاس، إعراب القرآن: 3/ 423.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 157.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 157.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 474.

فرط الحسد ألجأكم إلى هذا البهتان باللسان، مع تحقق خلافه في الأذهان[1]، فتهمتهم إياه بالجنون حِقْد وحسَدٌ، وسفَهٌ وضلال.

مرجع ضمير الخطاب في قوله: ﴿صَاحِبُكُم﴾:

ضمير الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يرجع إلى أهل مكة، وهذا أيضًا مِن جواب القسم، أقسم الله تعالى أن القرآن الكريم نزل به جبريلُ عليه السلام، وأن محمَّدًا ﷺ ليس كما يقول أهل مكة، وذلك أنهم قالوا: إنَّ محمَّدًا مجنون، وهذا الذي أتى به يَتَقَوَّله مِن نفسه[2].

أهل مكة أدرى بالرسول ﷺ، ومن صاحَب سيرته وقف على سموِّه

معنى (الباء)، ودلالة صوغ الجملة اسميّةً:

(الباء) في جملة: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وقوله: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ "مجرور لفظًا منصوب محلًّا؛ لأنه خبرُ (ما)"[3]، والمعنى على أنه ليس خطابُه ولا بيانُه ولا فِعله فعلَ مجنون[4]، فزيادة الباء هنا في الخبر تأكيدٌ لإبطال قولهم إبطالًا مؤكَّدًا.

لا شكَّ في صدق النبيِّ ﷺ، ورجاحة عقله

وصوغ الجملة اسميّة دلالة على أن المعنى أعرَق في النفي[5]، من حيث إن الاسم أدلُّ على الثبوت والدوام من الفِعل.

سِرّ التعبير بالجنون في قوله: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾:

الجُنونُ اختلالُ العقل؛ بحيث يَمنع جريان الأفعال والأقوال على نهجه القويم إلّا نادرًا[6]، والمعنى: أنَّه ﷺ "ليس بمُتَّهم فيما يأتي به من القرآن الكريم"[7]، وليس ممَّن يتكلم عن جنة: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ

تزكية الله تعالى لنبيِّه ﷺ غاية الشرف والكرامة

(1) حاشية القونوي: 20/ 122.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 431.
(3) الدعاس، إعراب القرآن: 3/ 423.
(4) درويش، إعراب القرآن للنحاس: 5/ 102.
(5) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 291.
(6) حقي، روح البيان: 9/ 199.
(7) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 431.

وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ [الصافات: 37]، وهذا نَفْيٌ لِما كان يَبْهَتُه به أعداؤه ﷺ حسدًا ولؤمًا[1].

والتعبير بالجنون في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ على المشاكلة، وإطباقِ الجواب على ما سُمع منهم، ويؤيده قول الزجاج: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ جوابُ القَسَم، أي: أُقْسِم بهذه الأشياء أنّ القرآن الكريم نَزل به جبريل عليه السلام، وأن صاحبكم ليس بمجنون؛ لأنهم قالوا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: 6][2].

لطيفة النفي بعد الإثبات:

في نفي الجنون عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، بعد إثبات الرسالة والكَرَم والكرامة له عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ تقريرٌ لنزاهته من تُهمَتِهم، وكونِه بالمنزلة السامية والمكانة السامقة عند ربِّه ﷻ؛ فكرَّر المعنى بطريق النفي بعد القسم عليه بأسلوب الإثبات، فكان في جمْع الأسلوبين تعزيز للمعنى وتقرير للغرض.

في الجمع بين الأسلوبين تمام الثناء، وغاية الإكرام

معنى (الواو) ﴿وَلَقَدْ﴾:

(الواو) في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ عاطفة على جملة: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾، "والمناسبة بين الجملتين أنّ المشركين كانوا إذا بلغهم أنَّ الرسول ﷺ يخبر أنه نزل عليه جبريل بالوحي من وقت غار حراء فما بعده؛ استهزؤوا، وقالوا: إنَّ ذلك الذي يتراءى له هو جني، فكذَّبَهم الله تعالى بنَفْي الجنون عنه، ثم بتحقيق أنَّه إنما رأى جبريل القوي الأمين"[3].

كلُّ ما أخبر به النبيُّ ﷺ صدقٌ وحقٌّ

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 419.
(2) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 16/ 318.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 159.

معنى (اللام):

(اللام) في قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ توكيدية، "واقعةٌ جوابَ قسَم محذوف، أي: وتاللّه لقد رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام بالأفق المبين"[1]، ففي (اللام) مزيد عناية وتكريم للرسول ﷺ بتأكيد صدق ما رآه وأُخبِرَ به.

مرجع ضميري الفاعل والمفعول في قوله: ﴿رَءَاهُ﴾:

رؤية النبيّ ﷺ جبريل عليه السلام؛ رؤية شريفٍ لشريفٍ

في قوله: ﴿رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ ضميران: ضميرُ الفاعل، ويعود إلى الرسول ﷺ، وضمير المفعول (الهاء)، ويعود إلى جبريل عليه السلام، والمعنى: "ولقد رأى محمدٌ جبريل صلَّى اللّه عليهما وسلَّم في صورته"[2].

وعن أبي الحوص أنَّه ﷺ رأى جبريلَ عليه السلام له ستُّمئة جَناحٍ في صورتِه، وعن عامرٍ، قال: ما رأى جبريلَ النبيُّ ﷺ في صورتِه إلا مرَّةً، واحدة، وكان يأتيه في صورةِ رجلٍ يقالُ له: دِحْيَةُ، فأتاه يومَ رآه في صورتِه قد سدَّ الأُفق كلَّه، عليه سندسٌ أخضرُ معلَّقُ الدرِّ[3].

"وقيل: هذه الرؤيا التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء، وسَمَّى ذلك الموضعَ أُفُقًا مجازًا"[4].

دلالة التعبير بـ (الأُفُقِ):

أمرُ الوحي حقٌّ وعيان، لا ظنٌّ وحسبان

الأُفُقُ: الناحيةُ التي تَفوق، وتَعلو[5]، فتبين الأشياء، فتُرى مِن قِبَلِها[6]، والأفقُ الفضاءُ الذي يبدو للعين مِن الكُرَةِ الهوائيّةِ بين طرَفَي مطلع الشمس ومغربها، من حيث يلوح ضوء الفجر، ويبدو شفق الغروب، وهو يَلوح كأنه قُبّة زرقاء، والمعنى: رآه ما بين السماء

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 474.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 166.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 167.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 444.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 293.
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 166.

والأرض[1]، وذلك من نحوِ أجياد، وعن قتادةَ قال: كنا نَتَحدَّثُ أن الأُفُق حيثُ تطلُعُ الشمس، وأنه الأفقُ الذي يجيءُ منه النهارُ[2].

وتقييد الرؤية بكونها من (الأُفُق)؛ لأنّه مِن الأُفُق تنزل البركات، وتنزَّل الملائكة وأنواع الخير كلُّها، وفيه تنبيه إلى أن أمور الوحي الكريم مبنية على البيان والوضوح، وأن تلقّي رسول الله محمدٍ ﷺ عن أمين الوحي جبريل عليه السلام مؤسَّسةٌ على الحق المبين، والله تعالى أعلم، وفيه التحقيق الموحي به، وأن أمرَه مبني على مشاهدة وعيان، لا على ظن وحسبان، وما سبيله كذلك؛ فلا مدخل للريب فيه[3].

معنى (الواو)، و(ما):

(الواو) في قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ عاطفةٌ، تَجمع نفْيَ ضنّه ﷺ بالوحيَ الشريف - الذي أُمِر بتبليغه - إلى تأكيد رؤيته جبريل عليه السلام ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، و(ما) فيه "نافية عاملة عمل ليس[4]؛ ليجتمع بذلك للنبيِّ ﷺ كمال التزكية بنفي الجنون في عقله، ونفي التقصير في تبليغه.

النبيُّ ﷺ صادقٌ في ما يخبر، أمينٌ في ما ينقل

مرجع الضمير ﴿هُوَ﴾:

الضمير ﴿هُوَ﴾ في قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ يعود إلى الرسول محمد ﷺ، كما يقتضيه السياق، فإن المشركين لم يدعوا أن جبريل ضنين على الغيب، وإنَّما ادعوا ذلك للنبي ﷺ ظلمًا وزورًا، ولقرب المعاد[5].

الأظهر من السياق عود الضمير إلى النبيِّ ﷺ

معنى ﴿ٱلْغَيْبِ﴾:

المقصود بـ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ في قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 159.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 166.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 419.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 15/ 257.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 160.

القرآن الكريم، وآياتُه التي حَملَتْ إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه كثيرًا مِن أنباء الغيب من قَصص وغيره، كما يقول سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ﴾ [هود: 49][1].

بـلَّـغَ الـرسـول ﷺ أمَّـتَـه من أمـور الغيب ما كلَّفَه الله تعالى بإبلاغه

أو المقصود به "خبَر السماء، وما أطَّلَعَ عليه ﷺ ممّا كان غائبًا عِلمه عن أهل مكة مِن الأنباء والقصص ممّا لم يعرفوه"[2]، أو ما استأثر الله تعالى بعلمه، إلا أن يُطْلِع عليه بعضَ أنبيائه، ومنه وحْيُ الشرائع، والعِلمُ بصفات الله تعالى وشؤونه، ومشاهدة مَلَك الوحي[3].

دلالة التعبير بـ (ضَنين):

الـ (ضَنين) البخيلُ المُمْسِكُ ما يَجب عليه بذلُه إلى مُستحقّيه، والمعنى: "ما يَضِنُّ عليكم محمد ﷺ بما يَعلمُ، وعن قتادةَ قال: إنَّ هذا القرآنَ غيبٌ، فأعطاه الله محمدًا ﷺ، فبذَله، وعلَّمه، ودعا إليه، والله ما ضنَّ به رسولُ الله ﷺ[4]، فبعث الله تعالى به الروحَ الأمين جبريلَ إلى رسول الله ﷺ، فأدَّى جبريلُ ما استودَعَه الله تعالى إلى محمد ﷺ، وأدَّى محمد ﷺ ما استودَعه الله تعالى وجبريلُ عليه السلام إلى العبادِ، ليس أحدٌ منهم ضَنَّ، ولا تَخَرَّصَ[5]، ولا كَتَمه كما يكتم الكاهن حتى يأخذ عليه حلوانًا[6].

كـان الـنبيُّ ﷺ حـريـصًـا أشـدَّ الـحـرص عـلى تبليغ ما أُمِرَ به

ولا مانع من حمل الـ (ضنين) على البخيل بُخلًا معنويًّا؛ إذ كان يأتيه غيبُ السماء – وهو شيءٌ نفيس – فلا يبخل به عليكم[7].

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1475.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 431.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 160.
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 168.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 169.
(6) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 432.
(7) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 420.

القراءات القرآنية تُثري الدلالات التركيبية بالإشارات البلاغية

توجيه القراءات القرآنية في قوله: ﴿بِضَنِينٍ﴾:

تعدَّدتِ القراءات القرآنية لكلمة ﴿بِضَنِينٍ﴾، في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس ﴿بِضَّنِينٍ﴾ بالظاء، وقُرِئَ ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد[1].

ومن قرأ ﴿بِضَّنِينٍ﴾ ؛ فمعناه: ما هو متهم، هو الثقة فيما أداه عن الله – والظِّنَّةُ: التُّهَمَةُ –، ومن قرأ ﴿بِضَنِينٍ﴾؛ فمعناه: ما هو ببخيل على الغيب الذي يؤديه عن الله، وعلى تعليمه كتاب الله، مأخوذ من: الضن، وهو: البخلُ، وقال الفراء: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَّنِينٍ﴾، أي: بضعيف، وقال الفراء أي: بضعيف، يقول: هو محتَمِل له، قال: والعرب تقول للرجل الضعيف: هو ظَنون، قال: وسمعت بعض قُضاعة يقول: ربما دَلكَ على الرأي الظَّنونُ، يريد: الضعيف من الرجال، وهو كما يقال: ماء شَروب، وشَريب، وقُرون الرجُل، وقَرينه نفسه، وكذلك قرينته، وقَرونَتُه[2].

و"جائز أن يكون الضّنّ منصرِفًا إلى الشفاعة التي أكرم الله تعالى نبيَّه ﷺ بها، فهو لا يَخصُّ بعضَ أُمَّته دون بعضٍ بالشفاعة، بل يَعمُّهم جميعًا، فيكون في هذا تحريضٌ على الاتِّباع له، والانقيادِ لطاعته.

ويحتمِل وجهًا آخر: هو أنه ليس بضنين في أداء شُكر ما أنعم الله تعالى عليه؛ إذ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بل اجتهد في أداء شُكره؛ حتى ذُكِر أنه تورَّمتْ قدماه من طول القيام، فقيل له: ألم يغفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[3]، ومن معاني (ظنين): ضعيف عن تأديته[4].

(1) ابن الجزري، النشر: 2/398.
(2) الأزهري، معاني القراءات: 3/ 124.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 438.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 219.

معنى (الواو):

(الواو) في جملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ "عاطفة، أو حالية"[1]، وهذا رجوع إلى ما أقسم الله تعالى عليه مِن أنّ القرآن قولُ رسول كريم، بعد أن استطرد بينهما بتلك المستطردات الدالة على زيادة كمال هذا القول بقُدسية مصدره، ومكانة حامله عند الله تعالى، وصِدق متلقّيه منه عن رؤيةٍ محقَّقةٍ لا تَخيُّل فيها.

لا يزال النظم الكريم يؤكِّد على نزاهة القرآن الكريم، والرسول ﷺ

فكان التخلص إلى العَوْد؛ لتنزيه القرآن بمناسبة ذكر الغيب في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، فإن القرآن الكريم مِن أمرِ الغيب الذي أوحي به إلى محمد ﷺ، وفيه كثير من الأخبار عن أمور الغيب: الجنة والنار ونحو ذلك"[2].

غرض الخبر في جملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾:

ساق النظم الكريم خبرَ تنزيهِ القرآن الكريم مِن تعلُّقِه بالشياطين في جملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾؛ ردًّا آخر على المشركين الذين زعموا أنّ القرآن الكريم إنما هو مِن باب الكهانة، وأنَّ الرسول ﷺ إنما هو كاهن، تُلَقِّنُه الشياطين هذا القرآن[3]، وكفى برده تعالى تكذيبًا لهم، وفضحًا لتخرُّصِهم.

كفى بردِّه تعالى تكذيبًا للكاذبين - على قرآنه ورسوله - فضحًا لِتَخَرُّصِهم وحِقدهم

معنى (ما) ومرجع الضمير المنفصل:

(ما) في جملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ "حجازية"[4]، تعمل عمل ليس، والمعنى: أنَّه ليس من تعليم الشيطان، وليس بشعر، ولا كهانة، كما قالت قريش[5].

شرف القرآن الكريم أنَّه من عند الله العظيم

والضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾ في جملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 15/ 257.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 163.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 305.
(4) الدعاس، إعراب القرآن: 3/ 424.
(5) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 432.

يعود إلى القرآن الكريم، السابق ذِكره في قوله تعالى: ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾، أي: وما هذا القرآنُ بقولِ شيطانٍ ملعونٍ مطرودٍ، ولكنه كلامُ الله تعالى ووحْيُه[1]، وقد عُلِم أنّ الضمير عائد إلى القرآن الكريم؛ لأنه أخبر عن الضمير بالقول الذي هو مِن جنس الكلام؛ إذ قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾، فكان المخبَر عنه من قبيل الأقوال لا محالة، فلا يُتَوَهَّم أنَّ الضمير عائد إلى ما عاد إليه ضمير: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤﴾[2].

معنى (الباء):

(الباء) في قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ﴾ صلة لتأكيد النفي، ولتعظيم القرآن الكريم بأنَّه "من قول الله ﷻ، الذي نقله رسول الوحي جبريل، وليس من وساوس الشيطان ولا من مقولاته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾ [الشعراء: 210 - 212]"[3].

كـثرة المـؤكِّـدات دالَّـة على عظم الخبر المؤكَّد

نكتة تنكير ﴿شَيۡطَٰنٖ﴾، ووصفه بـ ﴿رَّجِيمٖ﴾:

تنكير ﴿شَيۡطَٰنٖ﴾ في هذا السياق يوحي بحقارة جنسه كلِّه بالنسبة لجلال القرآن الكريم وإزاء عظمته، وتقييده بوصف ﴿رَّجِيمٖ﴾ – أي: فعيلٌ بمعنى مفعول – يؤكِّد أنه طريدٌ[4]، مُبْعَد يَتباعد الناس مِن شره، فإذا أقبل عليهم؛ رجَموه، فهو وصفٌ كاشفٌ لخطورة الشيطان؛ لأنَّه لا يكون إلا متبرَّأً منه[5].

معنى (الفاء) في جملة: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾:

(الفاء) في جملة: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾؛ لِترتيب ما بعدها على ما

عجبًا من إعراض المـعـرضـين عـن كـلام ربِّ العالمين!

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 171.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 163.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1476.
(4) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 608.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 164.

قبلها مِن ظهور أن القرآن الكريم وحيٌ مُبين، وأنه ليس مما يقولون في شيء أي: أين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته، ففي (الفاء) تفريعُ التوبيخ والتعجيز على الحُجَج المتقدّمة المُثْبِتَة أنَّ القرآن الكريم لا يجوز أن يكون كلامَ كاهنٍ، وأنه وحيٌ مِن الله تعالى بواسطة المَلَك، وهذا مِن اقتران الجملة المعترِضة بالفاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٢٢﴾ [عبس: 12][1].

معنى (أين) في قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾:

(أين) في قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ اسم استفهام عن المكان، والمعنى: أنه قد سدت عليكم طرق بهتانكم؛ إذ اتضح بالحُجَّة الدامغة بُطلان ادِّعائكم أنّ القرآن الكريم كلامُ مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدَّعون بعد ذلك؟ وكيف يَخطر هذا ببالكم؟ وأين عزبت عنكم أذهانكم؟ حتى جعلتم الحق الذي هو في أعلى درجات الصدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل ما يكون، وأرذلُ الباطل وأسفلُه؟ هل هذا إلا مِن انقلاب الحقائق[2].

الكفار جعلوا الحق الذي هو أعلى الصدق بمنزلة الكذب الذي هو أسفلُ الباطل

غرض الاستفهام في قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾:

الاستفهام في قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ لتبكيت كفار قريش، والتنبيه على الضلال الذي هم آخذون فيه، مُقبِلون بكُلّيتهم عليه[3]، والإنكار عليهم؛ تشبيهًا لحالهم في سلوك طُرُق الباطل بحال مَن ضَلّ الطريقَ الجادَّةَ، فيسألُه السائل منكِرًا عليه سلوكه، أي: اعْدِل عن هذا الطريق فإنه مَضِلَّةٌ[4].

من سلك طُرُق الباطل ضَلّ الطريقَ الجادَّةَ وتنكّبها إلى المعوجَّة المهلِكة

وفيه استضلالٌ لهم، كما يُقال لِتارك الجادّة اعتسافًا أو ذهابًا في بنيات الطريق: أين تذهب؟ مُثِّلت حالهم بحالِه في تركهم الحق، وعُدولهم عنه إلى الباطل[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 164.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 913.
(3) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 432.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 164.
(5) الزمخشري، الكشاف: 4/ 713.

ويجوز أن يكون الاستفهام مستعمَلًا في التعجيز عن طلب طريقٍ يَسلكونه إلى مقصِدهم من الطعن في القرآن، والمعنى: أنه قد سُدَّت عليكم طُرُق بُهتانكم؛ إذ اتَّضَح بالحُجّة الدامغة بُطلانُ ادِّعائكم أنّ القرآن الكريم كلامُ مجنونٍ أو كلام كاهن، فماذا تدَّعون بعد ذلك[1].

دلالة التعبير بالذهاب وحذف متعلّقه في جملة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾:

بالذهاب في جملة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ بمعنى العدول، والمعنى: "فأينَ تعدِلون عن كتابي وطاعتي؟"[2]؛ وذلك لأنه ذهاب فكر ويقين لا ذهاب جسد وحسّ، والمعنى "أين تذهبون بقُلوبكم عن هذا الحق المبين"[3].

للروح والعقل ذهاب معنويٌّ يخصّهما، فيحاسبان به، كما للجسد ذهاب حِسّيٌّ يخصُّه

وحُذِفَ متعلِّق الذهاب في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، والتقدير: فأينَ تذهَبون عن هذا القرآنِ، وتعدِلون عنه[4]؟ وأيُّ طريق أهدى لكم وأرشدُ مِن كتاب الله تعالى؟ وأين تذهبون عن عذابه وعقابه[5]؟ وأين تذهبون عن طاعته واتباعه والانقياد له، وقد أتاكم ما يلزمكم طاعته واتِّباعه[6]؟

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الضَّنّ والبُخل:

الضَّنُّ والضِّنَّةُ والمَضَنَّةُ، كلُّ ذلك من الإمساكِ والبُخْل، تقول: رجلٌ ضَنينٌ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، أي: بكتوم لِما أوحيَ إليه من القرآن[7]، والبخل في الشرع منع الواجب، وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده[8].

الضَّنُّ الإمساك، والبُخل منع الفضلِ والواجبِ، والشُّحُّ أشد البُخل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 164.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 171.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 294.
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 171.
(5) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 219.
(6) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 439.
(7) الخليل، العين: (ضنن).
(8) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (بخل).

والشُّح الحرص على منع الخير، ويقال: زند شحاح؛ إذا لم يورِ نارًا، وإن أُشحّ عليه بالقَدَح، كأنه حريص على منع ذلك، والبخل منع الحق، فلا يقال لمن يؤدّي حقوق الله تعالى بخيل، فالشُّح: البُخْل مع حِرْص، فهو أشد من البخل، وقيل: الشح: اللؤم، وأن تكون النفس حريصة على المنع[1].

(1) مؤسسة النشر الإسلامي، معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتابَي العسكري والجزائري، ص: 295.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"